

الحكم بغير ما أنزل الله

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد أمان بن علي الجامي

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 102)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: 1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب: 70-71)

أما بعد: ﴿

أيها الإخوة المسلمون:

أحييكم بتحية الإسلام فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

وموضوع حديثي معكم في هذه الليلة المباركة إن شاء الله في الآيتين في الآيتين المذكورتين اللتين سمعتم عنهما قول الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ

تَوَاباً رَّحِيماً * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴿
(النساء: 64-65)

نريد أن نتدبر هاتين الآيتين وليتم التدبر على الوجه الأكمل إن شاء الله
تعالى نستحسن أن نرجع إلى الوراء ونقرأ بعض الآيات المتصلة بالآيتين ،
إذ يجمع بينها كلها سببٌ واحدٌ من أسباب النزول:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ
قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ
وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً *
فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقاً * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغاً ﴿
(النساء : 60-63)

ثم قال الرب سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ
اللَّهِ....﴾ الآية (النساء: 64)

هذه الآيات مجتمعة في سياق الحديث عن المنافقين ذكّر لها - أي لهذه
الآيات - علماء التفسير أسباباً مختلفة من حيث الأسلوب والألفاظ
وهي مُتَّحِدَةٌ من حيث المعنى والهدف ، ذلك أن بعض الذين يزعمون
أنهم مؤمنون بالله وبرسوله وبالكتاب الذي أنزل على رسوله وبالكتب

المتقدمة من الكتب السماوية لَمَّا حصلت بينهم خصومة لم يرتضوا أن يذهبوا إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتحاكموا إليه بل ذهبوا إلى كاهنٍ في جهينة أو ذهبوا إلى يهودي أو ذهبوا إلى أي إنسان يحكم بينهم بغير ما أنزل الله ، فيهم نزلت هذه الآيات وهي تعاتبهم وتبين كفرهم وأنهم ليسوا بالمؤمنين على الرُّغم من دعوى الإيمان لأن التحاكم إلى الطاغوت يتنافى والإيمان ، التحاكم إلى الطاغوت يتنافى مع "لا إله إلا الله" ولا يتم الإيمان بالله تعالى إلا بالكفر بالطاغوت [فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا] (البقرة : 256) هذه الآية وفي غيرها في هذا المعنى تفسير لـ "لا إله إلا الله".

أي لا يتم الإيمان بالله تعالى بمجرد التلفظ بهذه الكلمة ما لم يتم الكفر بالطاغوت أولاً ثم الإيمان بالله.

كلمة التوحيد كما يعلم جميع الموحدين تجتمع على الكفر وعلى الإيمان وعلى النفي والإثبات لذلك مما يجب الانتباه له وتنبيه الناس له مسألة الكفر بالطاغوت.

التلفظ بـ "لا إله إلا الله" أصبح مألوفاً لدى جميع المسلمين ؛ ولكن قد يخفى على بعض المنتسبين وبعض المتلفظين بهذه الكلمة قد يخفى عليهم الكفر بالطاغوت وهذا يتطلب فهم معنى الطاغوت.

الطاغوت مأخوذ من الطغيان "طغى الماء وطغى الجبار على المؤمنين وظلمهم" أي تجاوز الحد ، إذن الطاغوت كما عرفه غير واحد من أهل

العلم كل ما تجاوز به العبد حده من معبود يعبده ومن متبوع يتبعه فيطيعه على خلاف شريعة الله ، كلُّ مَنْ تجاوز أو ما تجاوز به العبد "من" أو "ما" تجاوز به العبد حده من معبود.

ولسائل أن يسأل وهل في هذا الوقت هناك من يعبد غير الله من المسلمين وهو يقول : "لا إله إلا الله؟؟"

الجواب : نعم؛ ولكن يقعون في عبادة غير الله كثيراً لجهلهم معنى العبادة كما يجهلون معنى الطاغوت يجهلون معنى العبادة.

العبادة حقيقتها غاية الذل مع غاية الحب لذلك تعتبر محبة الله تعالى روح الإيمان ومحبة الله "المحبة الصادقة" مراقبة الله ، خشية الله هذه المعاني روح الإيمان ومن فقد محبة الله ومراقبته الصادقة في كل لحظة وخشيته التي تحول بينه وبين معصيته وبين التحاكم إلى غير الله وإتباع غير شريعة الله فقد الإيمان أي الإيمان الحقيقي وربما يفقد أصل الإيمان.

لَمَّا تحاكم هؤلاء إلى ذلكم الطاغوت سواء كان يهوديا أو كاهنا أخبر الله عن إيمانهم بالزعم [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ] "الزعم" كما يقال مطية الكذب في الغالب الكثير إذا قيل "زعم فلان كذا" أنه غير صادق فيما قال وإن كان الفعل "زعم" يأتي أحيانا بمعنى قال وذلك بالقرينة ؛ ولكن في الغالب الزعم مطية الكذب ، إيمان هؤلاء أخبر الله عنه أنه زَعَمٌ وليسوا بمؤمنين.

ومن صفاتهم أنهم يحاولون إرضاء الطرفين الكفار والمؤمنين فإذا عوتبوا في ذلك قالوا "إنما نريد الإحسان ، نريد أن نسير بسياسة مرنة ترضي الجميع

، ترضي الطرفين الكفار والمؤمنين ولا نريد أن نكون صرحاء لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، تقتضي السياسة أن نسير في المجتمع هكذا لترضى جميع الطبقات " هكذا قالوا لا نريد إلا إحسانا وتوفيقا ، يريدون الإحسان ويريدون التوفيق بين الجميع هذه من صفاتهم.

فجاء في ذلك وعيد أن الله سبحانه وتعالى عالمٌ بما في نفوسهم من الكفر والنفاق مهما تظاهروا بالإيمان ومهما ادعوا الإيمان ، بعد هذا أخبر الله سبحانه وتعالى عن حكمه في الرسل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

الإذن هنا يحتمل أن يكون إذنا شرعيا ويحتمل أن يكون إذنا كونيا ، بل يجوز أن يكون إذنا شرعيا وكونيا معا ، أي من الرسل من سبق في علم الله ومشيئته وكتابه السابق أن الذين يُرسل إليهم يطيعوه فيتبعوه لا بد أن يطيعه قومه ويتبعه إما كلهم أو بعضهم أو جلهم ولو شخصا واحدا ، ومن سبق في علم الله أنه يؤدي الرسالة فَيُبَلِّغْ ولكن لا يطاع ، إن سبق هذا في علم الله فسوف لا يطاع. إذن من الرسل من اجتمعت فيهم الإرادة والإذن والأمر الكوني والشرعي وهم الأكثر ، فأطاعهم قوم أكثر جُلُّ أو الكثيرون منهم من الأنبياء كما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ رَجُلٍ أَوْ رَجُلَانِ وَيَأْتِي النَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، هو لم يقصر بل بلغه ودعا إلى الله ؛ لكن سبق في علم الله بأنه لا يؤمن به أحد ولا يحط ذلك من مكانته.

وأما من حيث الإذن الشرعي والأمر الشرعي كل الناس أُمِرَتْ بطاعة الرسل وبيّاتبع الرسل وبيّاتبع الحق فمنهم من أطاع ومنهم من عصا ، أي مراد الإرادة الكونية والمشئّة الكونية والإذن الكوني لا يتخلف .

وأما الإذن الشرعي والأمر الشرعي والإرادة الشرعية مرادها قد يتخلف كما هو الواقع إذ الناس كلهم أُمِرُوا بالإيمان ؛ ولكن منهم مؤمن ومنهم كافر ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ وقال الله تعالى في توبة هؤلاء ليعين كيفية توبتهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ بالإعراض عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وَتَرَكِهِمْ إِيَّاهُ وهو بين أظهرهم والتحاكم إلى الطاغوت ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾ يا محمد ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾ عندك بحضورك في مجلس ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ ولم يقل واستغفرت لهم ولكنه قال: ﴿ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ﴾ تعظيما وتفخيما لشانه هذا الإلتفات من الخطاب إلى الغيبة فيه التعظيم والتفخيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم مع عَظَمِ ما ارتكبوا من الجرم لو أنهم صدقوا في التوبة ولكن شَرَطَ في توبتهم ما لم يشترط في توبة أي مذنّب وهو حضورهم مجلس رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما يريدوا أن يستغفروا فيتوبوا ، وليس بشرط بالنسبة لمن يعصي الله ويعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ليس بشرط أن يحضر عند النبي صلى الله عليه وسلم

للتوبة ، وبعد وفاته من باب أولى لا يُطْلَبُ منهم أن يحضروا عند قبره ؛ ولكن هؤلاء لَمَّا أَعْرَضُوا عنه وهو بين أظهرهم وتحاكموا إلى الطاغوت طلب الله في توبتهم أن يحضروا عند النبي صلى الله عليه وسلم ويستغفروا عنده ويستغفر لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذا فعلوا ذلك وجدوا الله توابا رحيمًا ، علموه توابا رحيمًا لأن الله غفوراً رحيمًا فيقبل توبتهم ويمحو عنهم سيئاتهم إذا صدقوا التوبة .

ثم قال الرب سبحانه وتعالى في السياق نفسه: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** يقول كثيرٌ من علماء التفسير : "(لا) داخله على شيء محذوف وهو نفي إيمانهم" (لا) أي ليسوا بمؤمنين مع دعوة الإيمان **﴿وَرَبِّكَ﴾** يا محمد صلى الله عليه وسلم أقسم الله بنفسه بعد أن أضاف نفسه إلى نبيه ليكتسب المضاف إليه التشريف من المضاف ، في الإضافة أحيانا يكتسب المضاف من المضاف إليه التشريف و أحيانا يكتسب المضاف إليه من المضاف ، وفي هذه الآية يكتسب المضاف إليه التشريف من المضاف **﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾** تأكيد بلا النافية أو الناهية التي نهتهم عن الزعم أو نفت إيمانهم المزعوم ثم القسم ثم إن يكون المقسم به هو الله سبحانه مضافا إلى نبيه وخليفه محمد صلى الله عليه وسلم لا يؤمن هؤلاء مع دعوى الإيمان.

إذن الإيمان ليس مجرد دعوى ، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ؛ ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، لا يكفي في الإيمان الصادق الحقيقي مجرد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وإن كانت هذه الكلمة

في أول الأمر تحفظ لقائلها دمه وماله ، أي تحرم ماله ودمه لكن إذا تبين بعد أن قالها إنما قالها تقية ليعيش بها بين المسلمين ولم يكن صادقا في قولها ودلت على ذلك العلامات يُحَكِّمُ بِرِدَّتِهِ فَيُقْتَلُ مرتدًا ، كذلك لا يكفي مجرد دعوى التصديق لأن التصديق عمل قلبي والعمل القلبي لا بد له من دليل لذلك هذا الإرجاء المنتشر بين صفوف المسلمين من حيث لا يشعرون وهو اعتقاد كثير من الناس أن الإيمان مجرد التصديق هذا الإرجاء أول ما ظهر في الكوفة من أصحاب الرأي ثم انتشر بين كثير من المسلمين يرون أن الإيمان مجرد تصديق ، وما أدرانا بأنك صادق في تصديقك؟؟!! لذلك الإيمان الصحيح التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح الذي يُصَدِّقُ التصديق، التصديق يحتاج إلى التصديق، تصديق القلب يحتاج إلى ما يصدقه ، الذي يصدق التصديق التلفظ بـ"لا إله إلا الله والعمل بالجوارح وقد صدق من قال:

وإذا حلت بالهداية قلبا نشطت بالعبادة الأعضاء

أولئك الذين يَدْعُونَ الإيمان أي إيمان القلب ويرفضون الأعمال ويعرضون عنه فإذا قيل لهم الصلاة ، إذا أمرتهم بالمعروف ونهيتهن عن منكر فعلوه قالوا: "الإيمان هنا الإيمان بالقلب" ، أشار إلى صدره أي لا يضرنا ترك الصلاة وترك كثير من المأمورات واجتناب المنهيات طالما الإيمان هنا في الصدر هذه دعوى كاذبة ولو صدق إيمان القلب لظهرت علاماته في الجوارح وإذا رأيت إنسانا نشطا في عبادة الله تعالى ، غيورا ، ملتزما ، متمسكا ، عاملا بشريعة الله ، معظما لدين الله ، مُحِبًّا في الله ... دليل

على صدق إيمانه ، وإذا رأيت مدعيا للإيمان لكنه كسول بارد فاتر لا يعمل ، يكتفي من الإيمان بمجرد دعوى إيمان القلب التصديق لا تجد عنده اندفاعا إلى عبادة الله وطاعته ولا تجده يحب أولياء الله ويخالطهم ويحب سماع كلام الله وكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام بل هو في وادٍ وهذه المعاني في وادٍ فلتعلم أنه إنما يملك من الإيمان ما يحفظ له دمه وماله وليس بمؤمن **﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾** حتى تكون أنت الحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، يتحاكمون إليك في خصوماتهم ويكتفون بذلك ولا يكفي مجرد التحاكم: **﴿ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾** إذا قضى الله وقضى رسول الله عليه الصلاة والسلام سواء كان القضاء لك أو عليك وجدت من نفسك انشراحا وقبولا وإذعانا هذا هو علامة الإيمان.

وبعد ذلك **﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾** التحاكم والرضا وعدم وجود الحرج والضيق ثم التسليم الكامل ، أكد التسليم بمصدر مؤكد للفعل ، الفعل إذا أؤكد بالمصدر معناه إذا قلت "ضربت زيدا" يحتمل أنك ضربته ويحتمل أنك سببته وآلمته كما يؤلم الضرب ؛ لكن إذا قلت "ضربت زيدا ضربا" لا يحتمل إلا الضرب الحقيقي أي يؤكد حقيقة ذلك الضرب ويسلموا تسليماً كاملاً ليس فيه تردد.

اجتماع هذه الصفات في الجماعة التي تحصل بينهم خصومة التحاكم إلى الله ، إلى كتاب الله ، التحاكم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام

في حياته وإلى سنته بعد وفاته ثم عدم وجود الحرج والضيق والحزاة والتوقف بعد الحكم والتسليم الكامل الصادق هذا هو الإيمان وبدون هذا لا يتم الإيمان.

نرجع إلى الآية الأولى من الآيتين □ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا □ عند هذه الآية ذكر المفسرون حكاية ضللوا بها كثيراً من الناس ، الحكاية يرويها العتيبي فيزعم أنه كان ذات مرة جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي إلى القبر الكريم فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: " يا رسول الله جئت تائباً إليك لأني سمعت الله يقول: □ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا □ " في الغالب الكثير الأعرابي لا يحفظ مثل هذه الآيات ، هذا من أمارات الكذب تلا الآية ثم قرأ بعض الأبيات وانصرف يقول العتيبي: " غلبتني عيناى فخطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: يا عتيبي أدرك الأعرابي فَرَدَّهُ فَرَدَّهُ فقال له : قد تاب الله عليك " تعلق بهذه القصة وبهذه الحكاية المنامية التي لا سند لها بعض من عندهم نوع من الغلو وعدم التفقه في الدين فزعموا أن للإنسان لأي فرد أن يذهب الآن إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستغفر عنده فيطلب منه أن يستغفر له ، يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له وهذا يدل على جهل هذا القائل ومن يغترون بمثل هذه الحكاية فرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن

انتقل إلى الدار الآخرة فصارت روحه الكريمة عند الله وجسده الكريم في القبر محفوظاً كما دُفِنَ مَا يُطَلَّبُ منه شيء لا يُطَلَّبُ منه الدعاء ولا يُطَلَّبُ منه الحديث ولا يُطَلَّبُ منه الفتوى ولا يُطَلَّبُ منه أي شيء ولا يُتَوَسَّلُ به - هذا بيت القصيد - لا يُتَوَسَّلُ بِهِ لأن التوسل الشرعي غير ممكن الآن برسول الله عليه الصلاة والسلام إلا ببعض المعاني التي سوف نوضحها إن شاء الله.

الذي يدل على صحة هذا المعنى الذي أشرنا إليه وبطلان مضمون القصة وإن كان يعمل بها كثير من الناس إذا أردنا أن نعرف الحقيقة نرجع إلى موقف أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام من رسول الله عليه الصلاة والسلام بعد وفاته ، هل كانوا يعاملونه كما كانوا يعاملونه في حياته يطلبون منه الدعاء يسألونه عن الحديث يشكون إليه بعض مشاكلهم؟؟!! لم يحصل شيء من ذلك قط مع علمهم أن الجسد الكريم كما قلت لا يزال محفوظاً في قبره كما دُفِنَ لا تأكله الأرض لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فجسد رسول الله عليه الصلاة والسلام محفوظ في ذلك القبر منذ أن دُفِنَ إلى يومنا هذا بل إلى أن يبعثه الله وهو أول من يُبْعَثُ محفوظ كما كان في كفنه في تلك الحجرة والصحابة يعلمون ذلك ويؤمنون بهذا الإيمان.

ثم إنَّ جَاهَ النبي صلى الله عليه وسلم ومكانته ومنزلته عند الله لم يأخذ شيئاً من ذلك بوفاته ، لا يزال موفور الجاه والمكانة والمنزلة عند الله عندما

تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر خارج المدينة وجاء بعد أن كُفِّن فكشف عن وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام وقَبِّلَ بين عينيه وقال طبت حيا وميتا يا رسول الله عليه الصلاة والسلام فرسول الله عليه الصلاة والسلام لم ينقص شيء من مكانته وجاهه ومنزلته عند الله بوفاته وكذلك كان الصحابةُ يقدرونه كما كانوا يقدرونه في حياته ولكن تقدير لا غلو فيه لذلك لَمَّا حصل قحط في عهد عمر بن الخطاب في عام معروف عند علماء التاريخ والسِّيَر بعام الرمادة في عهد عمر ماذا فعل عمر؟؟ هل ذهب إلى القبر الكريم ليطلب من رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يدعوا للناس أو ليستغفر عند القبر أو ليدعوا عند القبر؟؟!! لم يفعل شيئا من ذلك وهل توسل إلى الله بجاهه كما هو ديدن كثيرٍ من العبَّاد الذين تربوا في أحضان المتصوف الذين يكررون تتوسل إلى الله بجاه النبي عليه الصلاة والسلام ، لم يحصل شيئا من ذلك.

لا أتجاوز منطقة الجاه هكذا أعود مرة أخرى فأقول هناك فرق بين إثبات الجاه والإيمان بالجاه والتوسل بالجاه ، الإيمان بجاه النبي عليه الصلاة والسلام ومنزلته ومكانته شُعْبة من شُعَبِ الإيمان ، الإيمان بجاهه من الإيمان برسول الله عليه الصلاة والسلام لأن عدم الإيمان بجاهه تَنْقُصُ وتَنْقُصُ النبي عليه الصلاة والسلام رِدَّةً ، إذن يجب الإيمان بجاه النبي عليه الصلاة والسلام ومكانته ومنزلته عند الله لأن الله تعالى أخبر في كتابه عن جاه بعض الأنبياء من أولي العزم كموسى وعيسى عليهما السلام وقال الله تعالى في موسى : ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾

(الأحزاب : 69) وقال في عيسى عليه السلام : ﴿وَجِئَهَا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ﴾ (آل عمران : 45) فرسول الله عليه الصلاة والسلام إمامهم
وخاتمهم وأفضلهم فاثبت الله إمامته للمرسلين وأنه إمامهم في ليلة
الإسراء والمعراج عندما سافر من مكة ذلك السفر الطويل البعيد .. البعيد
القريب ، البعيد من حيث المسافة القريب من حيث العودة سافر رسول
الله عليه الصلاة والسلام سفر يعتبر من أنواع معجزاته ولما وصل إلى
بيت المقدس وجد قبله أنبياء قد أحياهم الله وجمعهم في بيت المقدس
فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إماما واقتدوا به بذلك
اكتسب لقب "إمام المرسلين" .

إذن الإيمان بجاه الأنبياء بصفة عامة وجاه النبي عليه الصلاة والسلام
بصفة خاصة شعبة من شعب الإيمان ، بعد هذا كله وهل ورد التوسل
بالجاه؟؟ (لا..) لا يتوسل بجاه النبي عليه الصلاة والسلام لأن جاه النبي
ليس من عملنا.

فمسألة التوسل أيها الإخوة:

من المسائل التي تَغَيَّرَ فيها المفهوم الصحيح وتَحَبَّطَ فيها الناسُ تَحْبُطًا
فظيعاً يعبدون غير الله ويسمون ذلك توسلاً أو يتدعون من عند
أنفسهم أنواعاً من التوسل المبتدع ويدافعون عن ذلك .

تعالوا بنا لتعلم معنى التوسل الصحيح من لغة الصحابة من لغة عمر،
عمر ابن الخطاب كما قلت في عام الرمادة لما حصل ما حصل من
القحط توسل إلى الله بِمَنْ توسل؟؟ كما قلنا لم يذهب إلى القبر الشريف

ولم يقل اللهم اسقنا بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ماذا فعل؟؟
جمع الناس في ميدان وفي الناس العباس ابن عبد المطلب عم النبي صلى
الله عليه وسلم فجعل عمر يقدم العباس فيؤثره على نفسه كان المفروض
أن عمر هو الذي يستسقي هو الذي يدعو لأنه خليفة ولكنه أثر
العباس لقربه من رسول الله عليه الصلاة والسلام هو ويقدم العباس ،
انتبهوا لهذه القصة "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك برسولك فتُسقنا
أما الآن فتتوسل إليك بعمّ نبيك فاسقنا أو فاسقنا (كلمة غير مفهومة)"
ثم قال للعباس: "قم يا عباس فادعُ الله" فقام العباس فدعا الله فأجاب الله
دعوته وسقى الله العباد والبلاد ، وبعد :

ماذا يريد عمر - هذا السؤال الذي يجب أن يسأله طالب العلم - ماذا
يريد عمر بقوله اللهم كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك برسولك فَتُسْقِينَا أو
فَتُسْقِينَا ماذا يعني؟؟ لو فهمنا جواب هذا السؤال فهماً صحيحاً لزال
عنا الإشكال في باب التوسل وهو من الأبواب التي يتخبط فيه كثير من
المسلمين وخصوصاً من العُباد الذين يكثرون من الدعاء .

ماذا يعني عمر؟ يجب على هذا السؤال حديث صحيح في الصحيحين
في باب الاستسقاء في عدة روايات نختار منها رواية أنس بن مالك
خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنس : أصيب أهل المدينة
بالقحط الشديد - بُلُغَتْنَا اليوم الجفاف الشديد - حتى خافوا على
أنفسهم وأموالهم ولكن كبار الصحابة أبي بكر وعمر عثمان وعليّ كان
يهابون رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حُبهم إياه لا يجرؤون أن

يسألوا كل شيء ، يتمنون أن يأتي أعرابي جرى يسأل سؤال فيستفيدون من سؤاله هذا كان دأبهم في الغالب الكثير وفي هذه المرة جاء أعرابي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب خطبة الجمعة يقول أنس : جاء أعرابي فدخل المسجد من باب من جهة دار القضاء ، باب على جهة مسجد القضاء غير معروف اليوم ، الأبواب تغيرت فكثرت ودار القضاء معروفة في التاريخ دار كانت لعمر بيعت في دينه بعد وفاته الذي يهمننا ، دخل أعرابي المسجد فمشى بين الصفوف وقبل أن يواصل القصة يقول أنس : ما كان بيننا وبين جبل السلع دار أي نرى جبل السلع من عند مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام جبل السلع الذي في طريق سلطانة على شمال من يخرج من المدينة إلى مسجد القبلتين - افهموا هذا الجبل له قصة - الأعرابي مشى بين الصفوف فوقف تحت منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنبره كان متواضعا يتكون من درجتين فقط منبر خشبي من خشب الغابة فوقف تحت المنبر فنظر هكذا فقال يا رسول الله عليه الصلاة والسلام انتبهوا معي ، ماذا يريد أن يقول الأعرابي عندما ينادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول يا رسول الله ، الأعرابي جاء من البادية ليس من المدينة وهل قال يا رسول الله أغشنا؟؟ ولو كان يفهم هذا المفهوم الخاطئ الذي عليه جمهور المسلمين اليوم ما كان يأتي بل يجلس عند خيمته وعند غنمه فيناديه من هناك فيقول : أغشنا يا رسول الله ، انظر إلينا بعين الرحمة ولكنه جاء ولما جاء فناده قال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ادعُ الله يغثنا ادع الله

يغيثنا ، عرف الأعرابي وهو أعرابي أن الذي يغيث العباد ويجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء هو الله وحده أما رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفه الثاني إنما يدعوا الله ويتضرع إلى الله ، عَرَفَ لكلّ ذي حقّ حقّه وهو أعرابي لَمَّا قال الأعرابي هذا الكلام رفع النبي عليه الصلاة والسلام يديه وهو يقول رفع يديه فبالغ في الرفع حتى ظهر بياض إبطيه لأنهم ما كانوا يلبسون الثياب والجلاليب كانوا يلبسون البردة اليمنية إزار ورداء على شكل ملابس الإحرام رداء مزركش وإزار مزركش يأتي من اليمن ويسمونه البردة اليمنية أو الحلة ، لذلك لما بالغ في الرفع ظهر بياض إبطيه صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم أغثنا.. اللهم أغثنا.. اللهم أغثنا.. ثلاث مرات ، يقول أنس: خرجت سحابة صغيرة من وراء جبل السلع مثل الترس فتوسطت السماء فانتشرت فأمطرت حالاً خطب النبي عليه الصلاة والسلام وصلى بالناس والناس كانت تتوقع أن المطر يقف بين الصلاة واستمر المطر وخرجوا يمشون في المطر إلى بيوتهم [يقول أنس]: كأني بهم يجرون إلى بيوتهم خصوصاً الذين يأتون من أماكن بعيدة وكانوا يتوقعون أن المطر يقف غداً بعد غد واستمر المطر من الجمعة إلى الجمعة فخافوا على أموالهم وطُرُقهم ومواشيهم وبيوتهم من كثرة المطر ، يقول: أنس في الجمعة المقبلة دخل أعرابي من الباب نفسه قيل لأنس هل هو الأعرابي الأول أو غيره قال: لا أدري ، المهم الأعرابي فمشى بين الصفوف كالأول ووقف تحت منبر رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل ادعُ الله

يرفعها عنا فرفع النبي عليه الصلاة والسلام يديه وجعل يقول: (اللهم حولينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال والآجام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر) يقول أنس: كلما يشير النبي عليه الصلاة والسلام إلى جهة فيقف المطر في تلك الجهة إلى أن وقف تماما انتهت الخطبة وقُضِيَت الصلاة وطلعت الشمس فخرجت الناس تمشي في الشمس إلى بيوتهم علما من أعلام النبوة في جمعيتين متتابعتين ، عندما قال عمر في عام الرمادة اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبيك فتسقيننا يشير إلى هذه القصة.

إذن معنى التوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام طلب الدعاء منه (لا غير) معنى التوسل بالصالحين ، التوسل بالصالحين مستمر لم ينقطع بوفاة النبي عليه الصلاة والسلام لأننا في هذه الأمة لا نعدم الصالحين ، الصالحون موجودون ومن أراد أن يتوسل بالصالحين بشرط أن يكون ذلك الصالح حيًّا حياة دنيوية وحاضرة تذهب إليه فتقول يا أخي فلان أنا أحسن بك الظن وأحسبك من الصالحين ادعُ الله لنا فيما هو كذا وكذا..، وخصوصا في مثل هذه الظروف التي نعيشها ينبغي أن نطلب الدعاء من صالحين ذلك هو التوسل بالصالحين.

وأما لو سأل سائل هل معنى ذلك أنه لا يمكن التوسل برسول الله عليه الصلاة والسلام الآن؟؟

الجواب: وهذا الجواب لا يرضي الكثيرين ولكن يرضي طلاب العلم الذين رزقهم الله الفقه في الدين (من يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين) إذا

درسنا لغة الصحابة وحياة الصحابة وعُرف الصحابة نجد التوسل برسول الله عليه الصلاة والسلام الآن إما أن تتوسل إلى الله بمحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام بشرط أن تكون صادقاً في محبته أو - لا فرق بينهما- أن تتوسل إلى الله بإتباعك لهديه وسنته لماذا؟ لأن هذا عملك ، أما جاء النبي عليه الصلاة والسلام هو ليس بعملك ولا معنى للتسول بالجاء ليس بعملك ولا هو شيء يدعو لك لأن التوسل في الإسلام إذا استقرأنا الكتاب والسنة لا يخرج من الأنواع الثلاثة الآتية:

- إما أن تتوسل إلى الله بأعمالك الصالحة

- أو بدعاء الرجل الصالح

- أو بأسماء الله الحسنى يا أرحم الراحمين ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث

هذا هو التوسل بأسماء الله ﷻ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (الأعراف : 180) أو نتوسل إلى الله بدعوة الصالحين الأحياء حياة دنيوية لا حياة برزخية ، حيٌّ حاضر عندك تطلب منه الدعاء أو تطلب من الله وتتوسل إليه بإيمانك الصادق وأعمالك الصالحة الخالصة لوجه الله تعالى هذه الأنواع الثلاثة.

قبل أن نترك التوسل بالصالحين لأنه موضوع مهم نذكر قصة الأعمى يحفظها كثير من الناس ويخطئون في مفهومها ، حديث الأعمى "حديث حسن" يوجد في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام رجل أعمى هذا الرجل تافت نفسه إلى أن يرد الله عليه بصره وقويت عزيمته في الله بأن

الله قادر على أن يرد عليه بصره وقويت عزيمته بأن دعاء رسول الله عليه الصلاة والسلام مستجاب ، الأعمى طلب له قائدا يقوده فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم - انتبه مرة أخرى - وهل الأعمى العاجز عن المشي إلا بواسطة قائد هل جلس في بيته فقال يا رسول الله أتوسل بك إلى الله ليرد الله علي بصري؟؟ (لا) بحث له عن قائد فتكلف المجيء فجاء ولما وصل عند النبي عليه الصلاة والسلام قال يا رسول الله ادع الله لي ليرد الله علي بصري - القصة كقصة الأعرابي تماما - ادعُ الله لي ليرد الله علي بصري قال له النبي عليه الصلاة والسلام إن شئت صبرت وهو خير لك (لماذا؟؟) لأنه ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام (إن من اخذ الله حبيبته أي عينيه وصبر واحتسب فجزاؤه الجنة) لذلك قال له إن شئت صبرت فهو خير لك وإن شئت دعوتُ الله لك ، كما نعلم جميعا الإنسان يحب النعمة العاجلة الحاضرة لذلك قال بل ادعُ الله لي عند ذلك علمه النبي عليه الصلاة والسلام لِيُقَدِّمَ بَيْنَ يَدَيِ الدُّعَاءِ عملا صالحا هكذا السُّنة إذا أردت أن تدعوا الله وتطلب من الله طلبا قَدِّمَ بين يدي الطلب عملا صالحا يكون سببا لإجابة الدعاء كالصدقة والصيام والصلاة ، أمره أن يذهب إلى الميضاة فيتوضأ ثم يدعوا بالدعاء التالي ، انتبهوا إلى ألفاظ الدعاء هي التي غلط فيها كثير من الناس علمه يقول : (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة ، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي لتقضى حاجتي اللهم شفعه فيّ وشفعني فيه) حصل التوجه لأنه حضر عنده وطلب منه الدعاء هذا معنى التوجه ، توجهَ إلى الله برسول

الله عليه الصلاة والسلام حيث طلب منه الدعاء ؛ لذلك في آخر الدعاء قال (اللهم شفعه فيّ) أي استجب دعوته لي عندما يدعوك يا رب لترد عليّ بصره وشفعني أنا الأعمى المسكين شفعني في رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما ادعوك لتجيب دعوته ، هكذا رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعوا له وهو يدعوا بهذا الدعاء فَرَدَّ اللهُ عليه بصره فرد الله عليه القادر على كل شيء الذي لا يعجزه شيء رد الله عليه بصره فقام يمشي بين الناس هذا والذي قبله أمثلة صحيحة واضحة في معنى التوسل بالصالحين هو طلب الدعاء من الصالحين وبعد أن دُفِنَ النبي عليه الصلاة والسلام في حجرته لم يحصل قط من أحد من الصحابة طلب الدعاء منه ولا التوسل إلى الله بجاهه عليه الصلاة والسلام بل لما رأى عليُّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب رأى رجلا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يدخل القبر في المسجد هناك كوة وفرجة في الحجرة دخل الرجل في تلك الفرجة الكوة فجعل يدعوا الله عند القبر فقال له ماذا تفعل؟؟ لماذا جئت عند القبر؟؟ قال ادعوا الله قال أحدثك بحديث حدثني به أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم(لا تتخذوا قبوري عيدا ولا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا عليّ حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني) من عادة السلفي الصالح كما اخبر الإمام مالك إمام دار الهجرة وكبار المدرسين في مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام في عهد تابعي التابعين يقول ليس من عادة السلف يعني بالسلف تابعي التابعين الذين في عصره والتابعين قبله

والصحابه ، كان مالك رحمه الله يحتج بأفعال التابعين والصحابة هم المراد بقول مالك أعمال أهل المدينة حجة .

وبعد:

قلت إن الإمام مالك المعروف عنه أنه يرى أن أعمال أهل المدينة حجة هذه القضية يجب أن تُفهم يعني الإمام مالك بأهل المدينة الصحابة والتابعين لأنه من تابعي التابعين تقديرا منه لأصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام والتابعين لهم الذين أخذوا وتعلموا على الصحابة كان يرى أن عمل أهل المدينة من الصحابة و التابعين حجة وإن كان يخالفه في ذلك سائر الأئمة ، وعلى كل إذا تتبعنا سيرة السلف الصالح الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وأردنا ان نفهم ديننا كما يجب ، كما فهموا قبل ان نبتدع يجب ان ندرس خصوصا في باب العقيدة والعبادة ما كان عليه اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام والتابعين وتابعي التابعين إنما قلت خصوصا في العقيدة والعبادة لأنهم الأساس ، وإلا فيجب فهم الدين على ضوء مفهومهم في كل شيء في العقيدة والعبادة والأحكام والمعاملات والاقتصاد والسياسة والأخلاق في السلوك وفي كل شيء لكي نتأسى بهم لأننا تبع لهم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) هذا واجبنا وكلما نكون أقرب إلى التمسك بسيرتهم وفهم الإسلام في ضوء مفهومهم نكون اقرب إلى الإسلام وكلما يتعد الناس عن حياة الصحابة والتابعين أي عن التأسى

بالسلف الصالح يتتعدون عن الحق ويقعون في الابتداع وقد صدق
القائل وإن كان خلفيا حيث قال

وكل خير في إتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

قال هذا صاحب جوهره التوحيد بالنسبة لطلاب العلم الذين يفهمون

هذا هو النوع الثاني مِنْ أنواع التوسل أي التوسل بالصالحين ولا شيء
غير هذا المعنى بالنسبة للتوسل بالصالحين ومن أراد أن يناقش سيناقش.

أما النوع الثالث التوسل إلى الله بالإيمان والأعمال الصالحة الخالصة لوجه
الله تعالى ما أحوجنا في هذا الوقت إلى أن نراجع صفحات أعمالنا إن
وجدنا فيها أعمالا صالحة خالصة أردنا بها وجه الله لتتوسل بها إلى الله
ونسأل الله بها في سجودنا في قنوتنا وفي الأوقات التي نظن أن الدعوة
تستجاب فيها ليرفع الله عنا ما نحن فيه .

في هذا المعنى نذكر قصة أصحاب الغار التي يفهمها كثير من طلاب
العلم من باب التذكير ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ثلاثة
ممن كان قبلنا أي من بني إسرائيل خرجوا في سفر فأدركهم الليل لعلها
مطيرة فدخلوا غارا ليناموا في داخل الغار فسقطت صخرة عظيمة
فَسَدَّتْ عليهم باب الغار وهم في داخل الغار وليس في إمكانهم أن
يفتتوا هذه الصخرة إذ ليس لديهم شيء من تلك الأدوات ، ماذا فعلوا
وهم من بني إسرائيل ولهم أنبياء؟ وهل توسلوا إلى الله بجاه أنبيائهم؟؟
وهل توسلوا إلى الله بجاه صالحهم وفيهم الصالحون؟ ولكن القوم تشاوروا

فهداهم الله إلى الصواب فقالوا لا يخرجكم مما أنتم فيه إلا أن تسألوا الله بأعمالكم الصالحة الخالصة لوجه الله تعالى ، هم ثلاثة فجعلوا يراجعون أعمالهم فقال أحدهم انه كان له أبوان شيخان كبيران كان يبرهما برا وكان من بره لهما لا يتناول طعام العشاء قبلهما لا هو ولا أهله ولا أولاده وهما كبيران يأتي إليهما بعشائهما في مكائهما وفي ذات مرة نأى به طلب المرعى لإبله وهم أصحاب ابل وطعامهم حليب الإبل حليب النوق جاء متأخرا في وقت متأخر من الليل فحلب الناقة وحمل الحليب إليهما فوجدتهما قد ناما فلم يستحسن أن يوقظهما ويقطع عليهما نومهما ويكدر عليهما ولم تطب نفسه ليشرب هو وأهله وأولاده من هذا الحليب الذي هياه للوالدين فبات واقفا على رؤوسهما إلى الصباح فلما استيقظا سلم إليهما عشائهما الذي بات في يده فقال هذا الابن البار اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فنزلت الصخرة قليلا دخل لهم الهواء وطمعوا في الخروج ولكنهم لا يستطيعون الخروج ، وقال الثاني إنه قد عمل عنده أجراء "عمال" فأخذ كل أجير أجرته فذهب ولكن أراد الله أن أحدهم ذهب وترك أجرته عند صاحب العمل فغاب غيبة طويلة ثم جاء وهذا التاجر الأمين ربّي تلك الأجرة الضئيلة فاشتري منها الإبل والبقر والغنم وكان يحاسب على هذه المواشي إلى أن جاء الأجير فقال يا عبد الله اعطني أجرتي فقال له كل ما تراه من البقر والإبل والغنم من أجرتك فسُقّها ، فقال يا عبد الله لا تسخر بي أعطني أجرتي قال لا اسخر بك ولكني نميته لك كل هذا من أجرتك

فسقها فساقها ، قال هذا التاجر الأمين اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فنزلت الصخرة مرة ثانية ولكنهم أيضا لا يستطيعون الخروج ، فتذكر الثالث فقال كانت له ابنة عمٌ يحبها أشد ما يحب الرجل امرأته فراودها بغير حق فرفضت وكانت عفيفة ولكن ضربتها الحاجة وجاءت إليه ذات مرة وهي محتاجة وهو صاحب مال فطلبت منه مساعدة فقدم لها مساعدة سخية ثم راودها وهذا الإحسان أثر فيها ، فطالما استعبد الإحسان إنسانا ، الإنسان كثيرا ما يتأثر بالإحسان ، على عفيتها تحت تأثير الإحسان لَمَّا راودها بغير حق وافقت على تحقيق رغبته ومكنته من نفسها وقعد منها مقعد الرجل من المرأة ولكنها انتفضت فقالت يا عبد الله اتقِ لا تفضَّ الخاتم إلا بحقه فذكرته بالله فتذكر فقام من توه ولم يفعل شيئا وترك لها المال ، فقال هذا الشاب العفيف اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فنزلت الصخرة مرة واحدة فخرجوا يمشون ، هذه القصة الصحيحة عندما يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ماذا يعني؟؟ لتتسلى بها في مجالسنا ونحكيها؟؟ (لا) لنعمل كعملهم عندما تشتد بنا الأمور في مثل هذه الظروف التي نحن فيها كما قلت سابقا فالواجب عملا بمثل هذا التوسل الصحيح ، يُرَاجَعُ كل واحد صفحات أعماله فيتضرع إلى الله ليحفظ الله على هذه البلاد وعلى غير هذه البلاد وعلى جميع المسلمين أمنهم ودينهم وعقيدتهم وليحفظ الله المسلمين من شر الفتن هذا هو الوقت وهل نعدم في شبابنا وشيوخنا وكهولنا وفي صالحينا

مَنْ يفعل مثل أفعال أصحاب الغار فيستجيب الله دعوتهم ويفرج الله عنا ما نحن فيه؟ ظننا في إخواننا المسلمين على اختلاف طبقاتهم أننا لا نعدم فيهم رجالا صالحين يدخلون على الله ويقرعون باب الله ويكررون قرع الباب مخلصين له الدين ليدعوا الله تعالى في مثل هذه الأيام ليفرج الله عنا ما نحن فيه.

أيها الإخوة :

نعمة الأمن والأمان نعمة لا مثيل لها اجتماعنا مثل هذا الاجتماع المبارك واجتماع المسلمين في المسجدين الشريفين وتدارس الشباب وإلقاء المحاضرات والدروس هنا وهناك أثر من آثار الأمن لذلك على كل عاقل أن يقدر نعمة الأمن ويطلب من الله أن يحفظ على المسلمين أمنهم ودينهم وعقيدتهم واستقرارهم ليبقوا في أمان يتدارسون كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ويعبدون الله في حرية وأمن وأمان .

ينبغي أن نستفيد من مثل هذه القصة مثل هذا الموقف لنكون بذلك عملنا بما علمنا ولا بد من ذلك اكتفي بهذا المقدار لنجيب على بعض الأسئلة الواردة إن شاء الله بعد صلاة العشاء .

الأسئلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قبل أن أبدأ بالإجابة على الأسئلة التي وردت وهي كثيرة جدا .

هناك ملاحظة على الصف الأول في وضعنا هذا الصف الأول مقطوع ورد النهي عن الصف المقطوع والأمر بإتمام الصف يقول النبي عليه

الصلاة والسلام: (وصل الله من وصل الصف وقطع الله من قطع الصف) لئلا ينطبق علينا هذا الدعاء في قطع الصف ولننال بركة دعوة النبي عليه الصلاة والسلام في وصل الصف استحسناً لو أن الإمام يقف بجوار الكرسي ويتأخر ويكون الصف الأول في مكان الصف الثاني لأن المسجد بحمد الله كبير لو عملتم بهذا يكون خيراً وعملاً بالسنة وبالله التوفيق.

ثم ننتخب ونختار من هذه الأسئلة الكثيرة ما يتعلق بموضوع الدرس أو الحديث وما يتعلق بالوقت الذي نحن فيه وهذه الفتن التي تدور في أرضنا وأهل العلم يختلفون في بعض النقاط حول هذه المسألة.

المسألة الأولى التي تتعلق بموضوع المحاضرة سؤال يقول:

ما معنى الكفر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: 44) وما الفرق بين الكفر وبين الظلم وبين الفسق لأن الله وصف الذين يحكمون بغير ما أنزل الله وصفهم بالكفر والفسق والظلم؟؟

الجواب:

أولاً لا فرق بين هذه الصفات لأن الكافر ظالم الظلم وضع الشيء في غير موضعه إذا كفر بالله وبرسوله وبدينه فهو ظالم وفي الوقت نفسه فهو فاسق ، الفسق معناه الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام لذلك هذه أوصاف كلها تتحد وتتفق وتجتمع فيمن يحكم بغير ما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق .

أما معنى الكفر في هذه الآية فيه تفصيل ولا بد من ذكر التفصيل أخذاً من كلام أهل العلم وقبل أن أنسى اذكر المرجع لهذا التفصيل لطلاب العلم فلهم أن يرجعوا إلى شرح الطحاوية ثم منه ينطلقون إلى المراجع الأخرى بالتفصيل الذي اذكره وهو:

أولا الحكم بغير ما أنزل الله ليس كما يتصور بعض الناس أن ذلك خاص باستيراد القوانين الأجنبية المقننة من الشرق والغرب والحكم بها في التحليل ، بعضهم يفهم أن المعنى خاص بالحكم بالقوانين الأجنبية والآية أشمل من ذلك بغير ما أنزل الله ، مَنْ حكم بين الناس بالقوانين الأجنبية شرقية أو غربية أو حكم بين الناس بالتحليل والتحريم بالعادات والتقاليد المحلية وبالمواثيق الموروثة من الآباء والأجداد عند أهل البادية قد حكم بغير ما أنزل الله لا فرق بين العادات والتقاليد المحلية المخالفة لشرعة الله المواثيق المعروفة عند كثير من الناس خصوصا عند أهل البادية وشيوخ البادية الذين يحكمون بها بين الناس بالتحليل والتحريم ، لا فرق بين هذه الأشياء وبين القوانين الوضعية المستوردة من الخارج كلها كفر وفسق وظلم.

[الأول] أما معنى الكفر إن حكم الإنسان بهذه الأشياء معتقدا أنها كالحكم الذي أنزله الله في كتابه وأرسل به رسوله هذه الأشياء مساوية لحكم الله أو أحسن منها وأنسب في هذا الوقت كما يقول بعض الملاحدة من العلمانيين بأن الشريعة الإسلامية غير صالحة في هذا الوقت لحل المشاكل المعقدة المعاصرة بل لا بد من استيراد أحكام وضعية مرنة

وضعها رجال درسوا أحوال المجتمع في الوقت الحاضر وخففوا الأحكام الشرعية وجعلوها مناسبة للناس ليس فيها قطع اليد ولا قص الرقبة ولا ضرب الظهر ولكنها سجون وغرامات مالية وأعمال شاقة هذه أنسب في الوقت الحاضر من شريعة الله أو على الأقل متساوية فمن اعتقد هذا الاعتقاد فهو كافر كفر بواح خارج من الملة ولو صلى وصام ، ولو اعتقد هذا الاعتقاد وهو في بطن الكعبة فهو كافر.

الثاني وهذا النوع كثير وخصوصا العلمانيون أعلنوا عن علمانيتهم وأن الشريعة الإسلامية غير صالحة في الوقت الحاضر وكل علماني فهو كافر مرتد أينما وقع في الشرق أو في الغرب العلمانية أشد كفرا من اليهودية والنصرانية لأن الإسلام قَدَّرَ لأهل الكتاب كتابهم الأول "توراة وانجيل" وأباح للمسلمين أكل ذبائحهم ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾ (المائدة: 5) بالإجماع المراد بالطعام هنا الذبائح وأحل لنا المحصنات من نسائهم بينما ذبيحة العلماني لا تحل ، المرأة العلمانية لا تحل لمسلم لأنهم مرتدون ، المرتدون والمجوس والوثنيون لا فرق بينهم وبين الهندوس والبوذيين من الذين يؤمنون بالأديان الأرضية وليست لهم أديان سماوية هؤلاء كلهم كفار يعاملون معاملة أشد من معاملة اليهود والنصارى في الإسلام، فلنعلم أن العلمانيين مرتدون كفار ولنعلم معنى العلمانية ، العلمانية كفر بجميع الأديان وعدم التقيد بأي دين يسمون "حرية" حرية البهائم.

النوع الثاني أو الفريق الثاني فريق حكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أن ما أنزل الله هو الحق وهو الصدق وهو الصواب وهو الموافق وهو الذي فيه الرحمة ؛ لكنه جارى الوضعي وجامل وحكم بغير ما أنزل الله معتقدا بأنه مذنب وظالم ومخطئ هذا لا يَخْرُجُ مِنَ الملة كفره كفرٌ دون كفرٍ ودائما اضرب مثلا لهذا بشرب الخمر والسرقه الذين يسرقون ويشربون ويقعون في الفواحش وهم يعتقدون أنهم مخطئون ومذنبون ولم يستحلوا هذه الجرائم كفرهم كفر دون كفر ليس كفرا بواحا لذلك يجب أن نفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يسرق السارق حين يسرق ولا يزني الزاني حين يزني هو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) معنى ذلك نفي كمال الإيمان لا نفي أساس الإيمان ما لم يستحل الخمر والسرقه والشرب وغير ذلك من الجرائم التي ذُكِرَتْ في هذا الحديث وغيره أي كفر عملي غير اعتقادي كذلك أما لو شرب الخمر وارتكب الفاحشة وسرق واستحل ذلك وخرج على تعاليم الإسلام يكفر كفرا بواحا كذلك من يحكم بغير ما أنزل الله كالأشياء التي مَثَّلْنَا بها إن كان بهذا الاعتقاد كفره كفر دون كفر .

وهناك فريق ثالث ابتلي إنسان مؤمن يحاول أن يحكم بما أنزل الله ولكنه يعيش في جوٍّ جاهلي اجتهد أن يخالف تلك الجاهلية ويحكم بما أنزل الله ولكنه اخطأ فحكم بغير ما أنزل الله قال أهل العلم هذا يؤجر على اجتهاده وذنبه وخطأه مغفور له ؛ ولكن لا ينبغي لطالب علم مسلم إذا تعلم ورجع إلى تلك البلدان التي تحكم بالقوانين لا يجوز له أن يتولى

وظيفة القضاء وكل وظيفة فيها إصدار الحكم ، الوظائف السياسية الدستورية لا يجوز له أن يتولاها فإن تولاها فهو الذي عرض نفسه للحكم بغير ما أنزل الله.

هذا بعض ما ذكره أهل العلم عند هذه الآية وبالله التوفيق.

السؤال الثاني: يقول في قصة الأعرابي هل فيها جواز الكلام مع الناس والإمام يخطب لأن الأعرابي دخل المسجد ومشى بين الصفوف كما قلنا فخطب رسول الله عليه الصلاة والسلام يا رسول الله الخ عليه الصلاة والسلام.

الجواب:

(لا) هذا خاص بمن يخطب الإمام أو يخاطبه الإمام كما في قصة الرجل الذي دخل المسجد وجلس قبل أن يركع ركعتين والرسول صلى الله عليه وسلم يخطب خطبة الجمعة فقطع الخطبة فقال له هل ركعت ركعتين أو هل صليت؟ قال الرجل (لا) قال له قم فصل ركعتين ، الإمام خاطب المأموم فرد المأموم على الإمام عند هذا الحديث قال أهل العلم يجوز الكلام حال الخطبة لمن يخاطب الإمام أو لمن يخاطبه الإمام فيرد عليه الجواب ، أما كونك تستدل بهذا الحديث وتكلم جارك (لا) لا يجوز.

السؤال الثالث قولك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام الخ هل يستدل بهذا على الذكر بالاسم المفرد كأن يقول يا الله يا حي يا قيوم أو (هو) (هو) (هو).

الجواب :

إذا قلت يا حي يا قيوم ثم سألت الله أو قلت يا الله يا أرحم الراحمين و سألت الله هذه هي طريقة دعاء الله تعالى بأسمائه الحسنی لأن هذه من أسماء الله الحسنی ، أما (هو) فليس من أسماء الله (هو) ضمير غَيِّبَة يصلح لكل أحد مثل "هذا هو العمود ، هذا هو الجهاز" (هو) ليس من أسماء الله .

الذين يقولون "لا إله إلا الله" ذِكرُ العامة (الله.. الله) ذكر الخاصة (هو.. هو) (هو) ذكر خاصة الخاصة هؤلاء ضائعون عن الجادة ، ضاعوا عن الجادة ، ليسوا على الجادة ، هؤلاء من تربية المتصوفة لا ينبغي الإصغاء لمثل هذا الهراء يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضل ما قلته أنا والنبیون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير) وورد الاقتصار على "لا إله إلا الله" هذا أفضل الذكر على الإطلاق ، الذكر الذي ذكر الله به رسول الله والأنبياء من قبله وإذا جاء شيخ الطريقة قال لك هذا ذكر العامة فاعلم أنه قد ضل وضاع وسخر واستخف بالأنبياء وبإمامهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وسماهم عامة يا سبحان الله!!! رسول الله عليه الصلاة والسلام الذي جاءنا بهذا الدين وهو وإخوانه المرسلون من العامة ومشايخ الصوفية قبل أن يبالغوا في الإلحاد من الخاصة فإذا بالغوا في الإلحاد فهم من خاصة الخاصة أي إذا كانوا قريبين من الجادة ويذكرون الله تعالى بـ (الله.. الله) هم من الخاصة وإذا ابتعد عن الجادة كثير في بنيات الطريق ودخل في الغابة فهو من خاصة الخاصة

، خاصة الخاصة لمن؟؟؟! خاصة الخاصة للشيطان ليس من خاصة الله أبدا ، خاصة الخاصة لله الأنبياء وفي مقدمتهم أولوا العزم وأولهم وإمامهم وأفضلهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلموا أن الطرق الصوفية وكتبهم تدعوا إلى خلاف ما يدعوا إليه رسول الله عليه الصلاة والسلام وهم يمشون في الخط المعاكس ، الذي يمشي في الخط المعاكس معناه يتعرض للهلاك ويعرض الناس للهلاك.

وبعد :

نصل إلى بيت القصيد وهو السائل يقول اختلفت آراء العلماء في هذه الأيام في الاستعانة بالكفار على الكفار فما رأيكم في ذلك ؟؟
الجواب:

اسأل الله تعالى أن يسددي ويوفقني في الإجابة على هذا السؤال.
أولا وقبل كل شيء أنا أريد أن أقول وأوضح الموقف ، الوضع الذي نحن فيه ليس الوضع الذي يُبحث فيه هل يجوز أو لا يجوز ، بل يجب أن يفهم كل عاقل أن وَضَعْنَا وَضَعَ المضطر ، رب الأسرة الكبيرة المهتدة بالجوع يجب على رب الأسرة أن يهيأ لهم إذا لم يجد طعاما حلالا من لحم الخنزير والميتة ما يسد به رمقهم ويحافظ على حياتهم وولادة أمرنا اليوم وأمثالهم بمثابة رب الأسرة المهتدة بالجوع إذا كان يرى أن ما لديه من الأطعمة غير كافٍ عليه أن يستورد الأطعمة من لحم الخنزير والميتة فيطعم الناس حتى لا يهلكوا هذا هو الموقف باختصار.

الوضع الذي نحن فيه لا يحتاج إلى الجدل ولا يحتاج إلى الاختلاف لقائل أن يقول هل لك أن تذكر لنا شيئاً من الأدلة نستأنس بها؟؟ نعم نذكر ونحن نعتقد أن بعض النصوص سائرة وأحب أن أقول: المشاكل السياسية وخصوصاً في الحرب لا تعالج بالمحاضرات والخطابة ، الخطابات والمحاضرات والكلمات الحامسة لا تعالج المشاكل لأن المشاكل معقدة ، طلاب العلم لهم أن يعالجوا الأحكام الفقهية والعقيدة والأخلاق وما يتصل بذلك بالمحاضرات والبيان ، إدراك أبعاد السياسة وخصوصاً السياسة الحربية ليس كل إنسان (كلمة غير مفهومة) ولكن الذين يمارسون السياسة وخصوصاً السياسة الحربية المسئولون عن أمن البلاد هم الذين يقدرّون أبعاد هذه المسألة ويعرفون كم يحتاجون ويعرفون هل هم محتاجون إلى الاستعانة بالكفار أم لا ثم هم يستشيرون أهل الحل والعقد من كبار العلماء ويعالجون المسألة في مجالس المشاورات والأخذ والرد ، وأما كوننا نحاول نحن إن نعالج هذه المسألة المعقدة بالخطابات والمحاضرات والتحمسات والانفعالات (لا) هذا يثير الشباب ، دم الشباب ثائر من قبل وإذا جاءت الخطابات الحامسة صارت زيادة وخرجت عن الاعتدال يجب أن نتأني ونترث في هذه المسألة.

أما من حيث الأدلة كما سمعتم فاتفق الأدلة ويختلف أهل العلم في كيفية الاستنباط من الدليل الواحد الصحيح ، الدليل الواحد الصحيح قد أسوق أنا واستفيد منه أحكاماً وغيري لا يرى ما استنتجته أنا بل يرى أن هذا غير صحيح والصحيح ما يراه ، وترجيح الآراء مسائل نسبية

عندما يرجح فقيه رأيا على رأي ليس معنى ذلك هذه ضربة لازم ما دام رجح ابن حجر أو رجح النووي أو رجح ابن القيم انتهت المسألة (لا..). المسألة نسبية بالنسبة لما رزقه الله من الفهم ، قد تكون المسألة الراجحة عند هؤلاء الأئمة مرجوحة عند غيرهم ولكن أهل العلم فيما مضى لا يجرح بعضهم بعضا عندما يختلفون في مثل هذه المسألة كلٌّ يحترم الآخر ، لا يقول: هؤلاء لا يخافون الله يقولون على الله بغير علم ، (لا..). لأن في ذلك جرحت غيرك وادعيت أنك التقي وشهدت لنفسك أنك الذي تخاف الله وحدك وفي ذلك تزكية للنفس ، لا ينبغي لطالب علم أن يقف هذا الموقف ويعالج مثل هذه المشاكل بمثل هذا الأسلوب .

وبعد،،

اذكر ما ذكره أهل العلم أولا اذكر الحديث ثم اذكر ما استنتج أهل العلم من ذلك الحديث ، الحديث الأول حديث في صحيح مسلم حديث عائشة رضي الله عنها عندما خرج النبي عليه الصلاة والسلام قَبْلَ بدرٍ تبعه رجل مشرك فأدركه فلما رأى الصحابة الرجل فرحوا به - انتبهوا عند كلمة فرحوا به- فرحوا به لما يعرفون فيه من النجدة والجرأة ، لماذا فرحوا به حبا له وولاء له؟؟ (لا..). الولاء شيء والاستفادة من جرأة الكافر وخبرته وشجاعته شيء آخر لسنا أفقه من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام "فرحوا به" - الحديث في صحيح مسلم اكرر- جاء إلى النبي عليه عليه الصلاة والسلام قال يا رسول الله أريد أن اتبعك لأصيب معك ، قال له: هل تؤمن بالله ورسوله؟؟ ، قال: لا ، قال:

ارجع إنا لا نستعين بمشرك ، فلحقه مرة ثانية قال كما قال في المرة الأولى ورد عليه النبي عليه الصلاة والسلام بما رد عليه في المرة الأولى ثم رجع مرة ثالثة وقال ما قال في المرة الأولى والثانية فقال له النبي عليه الصلاة والسلام هل تؤمن بالله ورسوله؟؟ قال :نعم ، قال: فانْطَلِقْ ، اختلف أهل العلم في استنتاج الحكم من هذا الحديث اختلافا فقهيها هادئا ليس فيه تجريح ولا تحامل ولا تحمس ، قال بعض طائفة من أهل العلم هذا الحديث لا يدل عدم جواز الاستعانة بالكافر لأن السياق دَلَّ أن النبي عليه الصلاة والسلام إنما رده في المرة الأولى والثانية لِمَا تفرس فيه من الإسلام ، كان يرجوا إسلامه بدليل أنه لما قال نعم ، قال له انطلق ، الذي يؤيد هذا المعنى فرح الصحابة رضي الله عنهم بالرجل ليستفيدوا من جرأته وشجاعته وهم يكرهونه لكفره ، فلنعلم أن الولاء شيء والتعامل والتعاون بالكفار أمر آخر ، التعامل بين الكفار والمسلمين معروف في المدينة عند رسول الله عليه الصلاة والسلام يوجد هناك يهود يتعاملون معهم في البيع والشراء والقبض والاستقرار ، مات رسول الله عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهون عند يهودي وكان فيهم الحدادون والصاغة والمسلمون يعاملونهم وفيهم المنافقون بالنسبة للمعاملة الدنيوية إن لم يكن هناك ولاء ومحبة وود ومحبة ما هم عليه من الكفر والنفاق أمر جائز بالإجماع ؛ لكن مسألة الاستعانة هذا الحديث فهم منه بعض أهل العلم هذا الفهم والبعض الآخر خالفه قالوا لا ننظر إلى هذه المناسبات

والملايسات ولكن نؤخذ بظاهر الحديث "لن نستعين بمشرك" لا يجوز ،
ولكن ما تضاربوا فقط هذه مسائل فقهية.

هذا دليل من يريد ان يشبع رغبته من هذا البحث عليه ان يرجع إلى
فتح الباري ، إلى نيل الاوطار إلى شروح الحديث ليطلع على ما قاله أهل
العلم وليتعلم أسلوب البحث ، كيف يبحثون سواء اتفقوا او اختلفوا .

الحديث الثاني قصة الرجل الذي لما رأى الصحابة شدة قتاله وبطولته
ذكروا لرسول الله عليه الصلاة والسلام عن هذا الرجل يقاتل بشجاعة
ويتقدم في الصفوف فَيُقْتَلُ المشركين قال رسول الهدى عليه الصلاة
والسلام الذي لا ينطق عن الهوى ، قال إنه في النار ، استغرب الصحابة
فبعضهم تتبع الرجل إلى أن مات فجاءوا إلى رسول الله عليه الصلاة
والسلام فقالوا الرجل الذي قلنا فيه كذا وكذا مات ، ماذا قال النبي عليه
الصلاة والسلام؟؟ قال هو إلى النار ، قال أبو هريرة حتى كاد بعض
الناس يرتاب كيف يقول الرسول عليه الصلاة والسلام مرتين في رجل
كهذا أنه في النار؟؟!! إلى أن جاءت الحقيقة ، جاء الخبر إلى أن الرجل
لم يمت ولكنه قتل نفسه لما جرح جرحا شديدا اتكأ على سيفه فقتل
نفسه لما أُخْبِرَ النبي عليه الصلاة والسلام هذا الخبر ، قال عليه الصلاة
والسلام: الله أكبر اشهد أني رسول الله قم يا بلال فأذن في الناس إنه لا
يدخل الجنة إلا مؤمن وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ، فَهَمَّ
كثير من أهل العلم الفاجر أي الكافر ، من أين فهموا؟ أولا قوله عليه
الصلاة والسلام لبلال قم أذن في الناس أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ،

المفهوم "إن هذا الرجل غير مؤمن" علم ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام بالوحي قال بعض أهل العلم إنما تركه يجاهد فيقتل فيقتل لينصر الله به هذا الدين بدليل قوله عليه الصلاة والسلام إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

جمع الحافظ ابن حجر بين هذا الحديث والذي قبله واستنتج أي نقل كلام بعض أهل العلم على جواز الاستعانة بالكافر على الكافر وذكر العلامة ابن القيم في قصة الحديبية وفقهها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل عينا له رجلا من خزاعة وهو كافر (كلمة غير مفهومة) إلى مكة ليأتي له بالأخبار وأسرار المشركين يقول العلامة ابن القيم: في ذلك جواز الاستعانة في الجهاد بالكافر إذا كان آمنا أو مأمونا .

من مجموع ما تقدم وما في معناه:

أهل العلم إنما يختلفون في الجواز وعدم الجواز في الحالة العادية لذلك يقول الإمام الشافعي يكره بغير حاجة وأنتم تقدرُونَ وتفرقون بين الحاجة وبين الاضطرار ، الإنسان الذي تتوق نفسه إلى الطعام وهو لا يهلك إن لم يأكل يقال محتاج له أن يأكل وله أن يشرب ؛ ولكن الإنسان الذي لو ترك الأكل يكاد يهلك يقال له مضطر.

هناك فَرْقٌ بين الاضطرار وبين الحاجة وما نحن فيه اليوم ليست مسألة الحاجة بل مسألة الاضطرار وعند الاضطرار بالإجماع يجوز أن يأكل الإنسان من الميتة ما يسد رمقه ، هؤلاء لحم الميتة.

طلبت الجهة المسئولة عن امن البلاد والعباد والدين والإسلام وهي تعلن أنها طلبت للدفاع عند الحاجة ولا تزال تعلن فدخلت القوة الأجنبية وهي تعلن [القوات الأجنبية] طُلبْنَا للدفاع عند الحاجة ونحن رهن الإشارة ، بمعنى لحم ميتة ولحم خنزير محفوظ في الثلاجة إن احتاج رب الأسرة أطعم منها أسرته وإن لم يحتاج رماها .

إذن إذا تصورنا الوضع هذا التصور وصدقنا الإعلانات الرسمية ، ويجب أن نصدق لأنه لا يجوز لنا أن نكذب الناس هكذا من عند أنفسنا بالتهم والإشاعات وأوقفنا الإشاعات والإرجاف بين الشباب بعد ذلك التجأنا إلى الله لأننا قد اتخذنا الأسباب المادية بكل ما يمكن بقي أن نأخذ الأسباب الأخرى.

ومن أهم الأسباب في هذا الوقت الرجوع إلى الله ، التوبة إلى الله والإكثار من الدعاء ، ففي مثل هذه الظروف كان يقنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الصلوات قنت شهر يدعوا لقوم ويدعوا على قوم نجتهد في الدعاء ونتوب إلى الله .

وبهذه المناسبة أحب أن أقول تبرئة للذمة من أسباب التوبة أن يسعى المسئولون في تقوية جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هذا الجهاد هو الذي امتاز به هذا البلد على سائر البلدان عندما كان قويا فعالا ، فلا يمكن تعظيم شرع الله وامثال أوامر الله والاجتناب عن نواهيه إلا بواسطة هذا الجهاد ، هذا الجهاد في الإسلام من الأهمية لا يقل عن جهاد الأمن وعن جهاد الداخلية ، لذلك نسأل الله أن يوفق ولاية الأمور

بتقوية هذا الجهاد وتنشيطه ليكون فعالا كما كان وهذا أهم شيء في باب التوبة بهذه المناسبة لأن كلامنا بالجزئيات حصل كذا في المكان الفلاني وحصل كذا من المعاصي والسفور والخمور وغير ذلك جزئيات.. وإنما يحصل ما يحصل لأن الجهاد ضَعُفَ يجب تقوية هذا الجهاد ابتغاء وجه الله ، تقربا إلى الله ، تعظيما لشريعة الله بذلك نستطيع أن نتغلب ومنتصر على أعداء الله.

تقوية هذا الجهاد وتطبيق شريعة الله تطبيقا عمليا كاملا من نُصْرَةِ اللَّهِ □
إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ □ (محمد : 7) □ وَمَا النَّصْرُ
إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ □ (آل عمران : 126) .

وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته على رسوله الأمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ارجوا أن أجد فرصة أخرى للإجابة على هذه الأسئلة الكثيرة وبالله التوفيق وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.